طقس الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البيظاني: دراسة انثروبولوجية للطقس الاحتفالي

أناس ابن الشيخ

جامعة محمد الخامس، الرباط

الملخص:

نحاول في هذا المقال أن نبحث في طقس الزواج البيظاني، وأهم ما يرتبط به من مراسيم واحتفالات وأشكال ثقافية محلية. وأيضا العمل على قراءة المنطق الذي يعتمده المجتمع البيضاني من خلال قبائله لعقد المصاهرات في ما بينهم. وأيضا محاولة فهم قواعد الزواج والمراحل الرتبط به. وإلى جانب الزواج رأينا تحليل دور ومكانة المرأة البيظانية في المجتمع. من خلال مجموعة من المستويات التحليلية بدءا بالأعراف مرورا بالتصور المحلي إلى جانب البحث في موضوعة العذراء والمطلقة وإبراز الاختلافات بينهما في علاقة بطقس الزواج.

كلمات مفتاحية: الزواج، المجتمع البيضاني، الطقوس، المصاهرة، المرأة.

Abstract

In this article we are trying to look at Maure ritual of marriage, the most important thing associated ceremonies and celebrations of local cultural forms. And also we trying to read the reasoning adopted by the community through Maure tribes to hold relation between them. And to understand the rules of marriage and the stages associated with them. In addition to the analysis of marriage we have seen the role and place of women in Maure society. Through a combination of analytical levels, from local customs via perception as well as research in the Virgin and placed the absolute highlight the differences between them in the marriage relationship ritual.

تقديم:

يعتبر الطقس "مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها"[1]. إن مفهوم الطقس جد مركب وتختلف دلالاته باختلاف الحقول المعرفية، فبالرجوع إلى استعمالاته الأولى نجده يرتبط بالحقل الديني. وسيتسع في ما بعد ليشمل الحقول الاجتماعية بتنوعها، مما جعله يخرج من الاستعمال الضيق (الدين) ليعدو بعد ذلك أحد المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا.

ومن خلال هذا التحديد المفاهيمي للطقس وما يتصل به من أهمية في دراسة المجتمع رأينا مقاربة طقس الزواج في محاولة لفهم إواليات اشتغال المجتمع، فنظام المصاهرة ونسق القرابة يعتبران محددين رئيسيين بنية النظام الاجتماعي بالمجتمعات التقليدية عموما، نظرا لما تمثله "آواصر القرابة داخل النظام الاجتماعي القبلي وخاصة لما يتعلق الأمر بمجتمع الجنوب المغربي وموريتانيا حيث هيمنة الانتماء القرابي السلالي ودوره في رسم معالم المكانات الاجتماعية داخل المجتمع البيضاني"[2].

إلى جانب تفكيك قواعد الزواج ومنطق عقد المصاهرات أثار انتباهنا دور وأهمية المرأة. لذلك نحاول في مستوى أول رصد هذه المكانة من خلال مجموع هذه القواعد، خاصة التي تلك التي ترتبط بالتصور المحلي والأعراف القبلية.

1. قواعد طقس الزواج في المجتمع البيظاني:

نزعم أن أول ما يمكن التطرق إليه في ما يرتبط بطقس الزواج وما يتصل به من أشكال احتفالية، هو المنطق الذي يحكم المصاهرات، سواء في زمن الترحل أو راهنا زمن التوطن والاستقرار بالنسبة للقبائل البيظانية المحادية للبحر الأطلنتي. فالتأمل في نوع المصاهرات والمنطق الذي ترتكن إليه القبيلة، يجعلنا أمام أنظمة ثقافية تستحق التحليل، سواء تلك التي تتصل بالزواج الداخلي بين القبائل يسميه البعض كالباحث يحيى ولد البراء "بالزواج الاجتماعي" أي على مستوى القبيلة الواحدة، أو تلك

[1] -Martine Segalen, *Rites et Rituels Contemporains*, Éditions Nathan, Paris, 1998, P 8.

نقلا عن درنوني سليم، "معتقدات الخيمة وطقوسها"، http://www.dernounisalim.com/دراسة-حول-معتقدات-الخيمة-وطقوسها-درنو، بتاريخ 2016/02/10

[2] - محمد دحمان، **دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب بين الترحل والإقامة**، منشورات طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 2012، ص 129-130.

تدخل في ما يسمى الزواج الخارجي (سواء بين القبائل أو خارج المجال البيظاني كما هو الحال في الزمن الراهن). كل هذه التصنيفات تنتظم وفق منطق محدد، تعمل الأعراف من جهة على تكريسها، ومن جهة أخرى تساهم التغيرات التي يعرفها المجال في تجازوها أو التـــأكيد عليها. لهذا رأينا أن نحاول فهم منطق الزواج والبحث في قواعده الأساسية

أ. منطق الزواج في المجتمع البيظاني:

إن الحديث عن منطق الزواج والعوامل المحددة له ترجع لأسباب مختلفة، وقد ترتبط أساسا بصعوبة المجال والتنشئة الاجتماعية للإنسان البيظاني (نمط العيش المعتمد على الترحال الشبه مستمر، وتعذر السلم بوجود حروب بين القبائل أو ما يسمى ب "غزي"[3].)، إلى جانب "ندرة الماء والكلأ في الصحراء يجعلان العيش صعبا ومحفوفا بالمخاطر. والإنسان المتوطن في البادية معرض دائما للفناء، بسبب ندرة الموارد الطبيعية التي لا يمكن أن تكفيه على مدار السنة إن لم يتنقل من مكان إلى آخر. لذلك يلجأ إلى الترحال المستمر أو الموسمي"[4].

ونظرا لصعوبة المجال البيظاني (نتحدث هنا بشكل خاص عن زمن ما قبل الاستقرار) تضطر القبائل إلى تقوية عصبيتها، لذلك تعمد إلى منطق الزواج الداخلي. فالزواج " ببنت العم من داخل القبيلة- وهو قضية تدخل في إطار مبحث الكفاءة- يمثل موقفا واعيا للحفاظ على البنية القرابية القبلية خاصة في قطاعاتها الداخلية الأضيق، كما أنه يلعب دورا فاعلا في إعادة النسخ المجتمعية وإحكام النسيج القبلي"[5]. وتسعى القبائل إلى محاولة إظهار التماسك بين مكوناتها من خلال طمس الصراعات الداخلية فهي "أوسع مجموعة يشعر أعضاؤها بواجب التكتل من أجل الغزو والدفاع"[6]. لذلك نجد من عادات البيظان "تزويج

---

[3] -غزي أو غزيان حيث يختلف المصطلح بين السكان المحليين، ويقصد به جماعة مسلحة من الناس كانت في زمن ما يسمى بالسيبة (بالحسانية السيب) تقوم بالإغارة على لفريك أو القبيلة، وهو سلوك مبني على العنف في المجتمع البيظاني، وقد ساد في مرحلة ما قبل حضور الدولة وانتهى مع دخول المستعمر الاسباني.

[4] -الفصل شلق،" القبيلة والدولة والمجتمع" ، **مجلة الاجتهاد**، عدد 17، خريف 1992، ص10.

[5] -يحي بن البراء، **الفقه والمجتمع والسلطة أو النظر الاجتماعي السياسي للفقيه الموريتاني من شمول أهل القبلة إلى آصرة أبناء القبيلة**، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط،الطبعة الأولى، 1993، ص 118.

[6] -ليليا بن سالم، "التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم"، ضمن **الأنثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي**. ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2007، ص 13.

الفتاة في سن مبكرة قد تصل إلى سن السابعة"7 بهدف تقوية الروابط القبلية بدرجة أولى. رغم أنها قد تظل بعد ذلك عند أهلها حتى مرحلة النضج (التي تختلف حسب القبائل وأعرافها) للسهر على خيمة زوجها ورعاية الممتلكات المادية والرمزية.

وهكذا فالمصلحة العامة للقبيلة تقتضي الدخول في مصاهرات تحالفية، أولا لزيادة القوة العددية (الأفراد، وتنمية القطيع خاصة الجمل) وثانيا لاستمرار لحمة القبيلة وعصبيتها، كما يسميها ابن خلدون،. "فالتحالف الزواجي (من خلال الزواج) يكتسب أهمية قصوى، ومن الاستراتيجيات التي تساهم في اتحاد المجموعات والأفراد"[8]. فقدر الفتاة زمن الترحال ارتبط بإواليات التحالف القبلي، الذي يدفع القبيلة إلى البحث عن حلفاء من قبائل أخرى. والمجتمع البيظاني يعرف الصنفين (الزواج الداخلي والزواج الخارجي) وذلك تبعا لأعراف القبيلة والحاجة إلى الحلفاء.

لقد حاول التصور الانقسامي من جهته أن يفكك بنية القرابة في المجتمعات القبلية كونها تتكون من فئات متداخلة فيما بينها، وعبر مستويات التداخل هذه تتحدد مختلف مكونات النسق الانقسامي ووحداته، فكل قبيلة تنقسم إلى فروع، وهذه الفروع تنقسم بدورها إلى أجزاء، إلى أن نصل إلى مستوى الوحدات العائلية، ويبقى عامل النسب هو المهيمن من داخل هذا المجتمع، فالنظام الاجتماعي والسياسي الانقسامي، يستمد رمزيته وأسسه من " نسق القرابة" أو بالأحرى من خط "النسب الأبوي" « Le patrilignage » وهكذا تبدو القبيلة شبيهة ببنية الشجرة التي يمثل كل فرع من فروعها مستوى معين من الانقسام، وتمتد هذه الفروع من القمة لتتفرع أكثر فأكثر نحو القاعدة حيث تنحدر فروع جديدة، وصولا إلى أدنى مستوى في القاعدة وهذا ما تجسده الأسرة"[9].

---

[7] - Odette Du Puigaudeau, *Art et Coutume des Maures* , L'Agence du sud, Rabat, 2013. p 232

[8] - Sophie Caratinie, « A Propos du mariage « arabe » Discours endogame et pratiques exogames : l'exemple des Rgaybat du nordouest saharien ». In: *L'Homme*, 1989, tome 29 n°110. pp. 30-49 p 33.

[9] -ليليا بن سالم،مرجع سابق، ص 26.

كما أن الزواج في المجتمع البيظاني يرتبط بالأصل (الشرف، الانتساب للجد المشترك) والمكانة (المراتب الاجتماعية) "فمهما كانت مكانة البيظاني في الترتيب الاجتماعي، فإنه ينتمي أولا إلى مجموعة أساسية مبنية على القرابة"[10].)، لكنه أيضا يتحدد بالظواهر الاجتماعية الكلية، كالحرب(غزي بين القبائل) التي تساهم في إنتاج روابط المصاهرة، فالزواج مناسبة بالغة الأهمية عند البيظان، وبفضله تنتج علاقات متينة بين القبائل، من شبيه التحالفات، وأواصر القرابة، وتعزيز المكانات، "فالتحالفات عن طريق الزواج تؤدي إلى دمج أشخاص وسلالات برانية".[11] ورغم أن نظام المصاهرة عرف تغيرات بالغة بين الماضي والحاضر، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن محددات الزواج تبقى متصلة بأعراف قبلية يصعب تجاوزها.

ب. من الخطبة إلى الرحيل.

العناية بالفتاة وتسمينها: يصر المجتمع البيظاني على العناية الجسدية بالفتاة قبل الزواج، فهناك اهتمام خاص موجه نحوها "لكونها " منتجة المنتج" كما يقول مياسو، فالطفلة ترعى حتى تبلغ سبعة سنوات أو عشر فتنتقل إلى خادمة أو إلى جانب أمها لتتعرض لعملية " التسمين" التي يدعونها محليا" لبلوح""[12]، فالبدانة ميسم من مياسم الجمال في المجتمع البيظاني. كما أنها ترتدي الملحفة الشبابية التي تتميز بألوانها المتنوعة وبكونها شفافة بخلاف المرأة الكبيرة في السن التي تلبس ثياب ذات ألوان غامقة "متغلكة" وهي غير شفافة.

الخطبة: تختلف أصنافها تبعا للقبائل. فهناك الخطبة المبكرة أي منذ الولادة، وقد جرت العادة أن تتكفل أسرة الشاب بالتحدث مع أسرة الفتاة، وبعد التأكد من أخلاقها ومكانة عائلتها كما يقال بالحسانية " منت أحسب ونسب". يعاد اللقاء وتأتي أسرة العريس للحديث حول المراسيم وكل ما يرتبط بالحفل.

10 –فيليب مارشزين، **القبائل،الإثنيات والسلطة في موريتانيا**، ترجمة الدكتور محمد بن بوعليبه بن الغراب، دار النشر جسور، نواكشوط، الطبعة الأولى، 2012، ص27.

11 –بيير بونت، **إمارة آدرار الموريتانية**، ترجمة محمد بن بوعليبه، نواكشوط، دار النشر جسور، الطبعة الأولى، 2012، ص 109.

12 –محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر برانت، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص 154.

العقد: هو المرحلة الأساسية في طقس الزواج. وهو حسب صاحب "الوسيط": عقد على مذهب الإمام مالك، سواء في ذلك الزوايا وحسان واللحمة، أما الزوايا، مطلعون بأحكامه وأما حسان، واللحمة: فإنما يتولى لهم العقد أحد الزوايا، ولا يتولونه بأنفسهم وإذا لم يكن معهم أحد الزوايا، أحضروه حتى يتولى ذلك"[13].

الدفوع: التحضير له يتم بمدة قبل موعد الزفاف فهو عبارة عن موكب أخد الهدايا إلى أهل العروس والمتمثلة اساسا في كبش العقد والجمل بالإضافة إلى حقائبها، وحقيبة خاصة بمثابة هدية لأهل العروس... مع الإشارة إلى أن هذه الهدايا تختلف بحسب المستوى المادي لأهل العريس.

الوليمة :(بالنسبة للوليمة فإنها ترتبط بالدفوع وتلازمه أي في الليلة ذاتها) فبعد انتهاء وليمة العقد ومغادرة الرجال، يتم تجهيز المكان لاستقبال أهل العريس باللبن والثمر.. وتقف نسوة أهل العروس حاملين معهم ثوبا أبيض يسمى "البند"، ويحدث نوع من النزاع على البند بينهم وبين ونسوة أهل العريس.. والفئة التي تتمكن من الحصول على البند تعتبر الفائزة.

هذا الصراع على "البنذ" يكون مرفوقا بأصوات الموسيقى المحلية وكذا ب "زغاريت" وأصوات الترحاب، بعد معرفة الفائز بالبند تدخل النساء إلى صالة الحفل.. ليبدأ الرقص، وفي نفس الآن، والحالة هذه، يتم تقديم مأدبة الحفل، لينتهي حفل الدفوع في وقت متأخر ويغادر باقي الضيوف وأهل العريس ومن أتى معهم ليبدأ الاستعداد للسهرة.

المروح أو السهرة: بعد تزيين العروس (الحنة، ظفيرتها، ثيابها " ملاحف موغنكيات" بمعنى معطرة بعطر خاص يسمى "الرشوش" ويتم تخزينها قبل أن ترتديها العروس بمدة طويلة "وفي وقت تجهيز العروس يتم في نفس الآن تجهيز العريس مع أصحابه وتحصل بينه مع أصدقائه مشادات في إطار المزاح.. ومن بين أصحاب العريس مرافقه ويسمى" الوزير".

وحين تأتي لحظة أخذ العريس لعروسه بعد السهرة، تقوم صديقات العروس بمحاولات لمنعه وأصدقائه أخذها وهو ما يسمى ب" تناتير لعروس" وينتهي في الغالب هذا الطقس بفوز العريس بعروسه. وتعرف السهرة بالضرورة قصيدة "التروا ح "[14] حين يأتي العريس لحضور السهرة، وأيضا حين مغادرته لصالة الحفل.

التروا غ: يكون في الليلة الثانية.. حيث تقوم صديقات العروس بالهرب بها إلى مكان مجهول، وعلى العريس وأصدقاءه البحث عنها.

---

[13]- أحمد الأمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجه أدباء شنقيط**، مكتبة الوحدة العربية، ودار الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1958، ص 524.

[14] -عبارة عن قصيدة حسانية. والمجتمع البيظاني يتوارثها إلى اليوم.

الدَخلة: تأتي مباشرة بعد المروح وتعرف بعض العادات المميزة التي أصبحت الآن (الزمن الراهن) تميل إلى الاندثار. من أهمها إشهار عذرية الفتاة في تأكيد على طهارتها وهو عرف يرتبط بغالبية مجتمعات شمال إفريقا.

الرحيل: وهو آخر مرحلة حيث يأخذ العريس عروسه ويشهد هو الآخر صراعا حول العروسة أو ما سبق وأشرنا إليه ب تناتير العروس" والغاية منه التماطل. وتعرف قبائل البيظان بعض الأعراف الخاصة بهذا الطقس. حيث "أفتى بعض العلماء أن من تزوج بامرأة من غير قبيلته فأدى به ذلك إلى الانقطاع عن القبيلة وعدم مشاركة أعباء ما ينوبها فإن ذلك الشخص يحكم بفسخ نكاحه"[15].

أما لباس العريس فهو "الدراعة" والأفضل أن تكون بيضاء اللون مع لثام أسود.. وبالنسبة للعروس فطوال ليالي العرس تلبس ملحفتين واحدة سوداء والثانية بيضاء في كل ليلة تلبس اثنتين وينتهي استعمالها بعد لباسها لتلبس اثنتين جديدتين مع الحلي المحلي والخرز (العقيق)، الذي يوضع على رأس العروس بشكل مزخرف.

2. مكانة المرأة في المجتمع البيظاني

رأينا أن نتحدث أولا عن مكانة المرأة ومنزلتها في المجتمع البيظاني رغبة منا في توضيح مجموعة من العناصر البنيوية المرتبطة بأهميتها في هذا المجتمع، بدءا بالأعراف الاجتماعية (التي امتثلت إليها غالبية المجتمعات التقليدية في مرحلة من الزمن، كما هو شأن المجتمع البيظاني)، وأيضا التصور المحلي، فالحديث عن المجتمع البيظاني وأبنيته الثقافية يفرض بالضرورة العودة إلى قراءة ذاكرته المحلية ونوازله الفقهية التي أنتجت في المحاضر (فقه المحضرة[16]) والأمثال الشعبية الحسانية. كل هذه العناصر تكشف حدود اتصال المجتمع البيظاني ب "الثقافة العالمة" والمحلية" في نفس الآن، من خلال تنظيم العلاقات والمعاملات الفردية والجماعية.

---

[15] -يحيى بن البراء، مرجع سابق، ص118.

[16] –"الزوايا" وهي الفئة التي تهتم بالعلم في المجتمع البيظاني. وتحظى بمكانة مهمة في بلاد البيظان باعتبارها تقوم بأدوار مميزة بنشرها للعلم وتدوين تاريخ المجال وثقافته.كما أن فقه المحضرة ظل يساير حياة البدو (القائمة على الترحل، وغزي بين القبائل...) ويحاول من خلال الفتاوى درء المفاسد والعمل على حفظ السلم بين القبائل والأفراد.

أ. العرف القبلي وتحديد الأدوار الاجتماعية للمرأة البيظانية:

يعتبر العرف "مجموعة من القوانين الوضعية التي تسهر على سنها القبيلة في سبيل تنظيم شؤونها الداخلية والخارجية، فهو نص قانوني ينظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والقضائية ويحدد الجرائم والعقوبات ويهدف إلى حل النزاعات القائمة أو المحتمل قيامها"[17]، فبهذا التعريف يمكن القول أن العرف هو السبيل للخروج من حالة الفوضى إلى خلق النظام.

نجد العديد من الأبحاث والنظريات (خاصة تلك التي ارتبطت بالنسق التطوري للمجتمعات) تعتبر المجتمعات التقليدية تعيش على الفوضى، ولا وجود لقانون ينظم شؤونها، "وما كان بالإمكان تحقيق الاستقرار السياسي ووقف النهب البدوي وتأمين سلامة الروابط التجارية إلا في ظل دولة مركزية"[18]. إلا أن هذه التصورات تجد ما يعارضها، كيفا وكما، خاصة الأبحاث الأنثروبولوجية التي اعتبرت الميدان بمثابة المختبر الأول بدل الخوض فقط في المقاربات النظرية.

فايفانس بريتشارد، ومن خلال دراسته حول قبائل النوير السودانية ودراسات أخرى حول إفريقيا[19]، دحض التصورات السابقة، واتجه إلى التأكيد على أن المجتمعات التقليدية تخضع لقواعد مختلفة من التنظيم عن المجتمعات الحديثة، كما تعرف نظاما ونمطا خاصا وتعيش على ما يمكن توصيفه "بالفوضى المنظمة". وغرضنا هنا ليس تفصيل القول في العرف بقدر ما نحاول تبيان أهميته في المجتمع والمسارات التي يحددها للقبيلة والأفراد.

هذه الإشارات التي تسم الأهمية التنظيمية للعرف، تختزل كذلك صعوبة تعامل الأفراد مع صرامة التقاليد. وقد عملت صوفي كاراتيني Sophie caratinie على تحديد مجموعة من الأعراف المرتبطة بالمرأة البيظانية (اهتمت أكثر بقبيلة

---

[17] –رحال بوبريك، **زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي**، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى، 2012، ص. 69.

[18] – الربيعو علي تركي، "نحو تأسيس إناسة لدراسة المجتمع البدوي"، **مجلة الاجتهاد**، العدد 17، السنة الرابعة، خريف 1992، ص 175.

[19]- E.E .Evans Pritchard et Meyer forte, *African Political System*, Londres, 1940.

-E.E .Evans Pritchard, *The nuer, a Description of the Modes of Livelihood and Political institutions of Nilotic People*, Clarenden Press, Oxford, 1940.

الركيبات[20])، ومن هذه الأعراف أن المرأة "لا تشارك في الحروب، ويحظر ذهابها إلى الأسواق، كما أنها لا تشارك في الاجتماعات وتبدو ملتصقة بالخيمة حتى زواجها. والفتاة الصغيرة تظل قريبة من أبويها"[21].

لقد حاولت صوفي كاراتيني أن تركز دراستها حول قبيلة بعينها، وقد رأينا أن نتوقف عند أعراف هذه القبيلة (قبيلة الركيبات) إلى جانب تناول قبائل أخرى، من أجل فهم أكثر للتنظيم الذي تعشيه القبائل البيظانية. فبالعودة إلى دراسة خوليو كاور باروخا " دراسات صحراوية" نجده قد عرض مجموعة من الأعراف القبلية، حيث يشير العرف الثاني من أعراف قبيلة الركيبات (وضع كارو باروخا لائحة تضم أعراف هذه القبيلة في كتابه دراسات صحراوية) إلى أن " كل من قام بالمساس بحرمة زوجة الغير عن قصد، يعاقب بدفع حق الزوجة"22. وبذلك تدفع هذه إلى توفير الحماية وضمان السلم ودفع الشر كذلك.

لقد قدمت كاراتيني مجموعة من التأويلات حول المرأة البيظانية (في كتابها الذي خصته لدراسة قبيلة الركيبات[23]")، تتباين بين الطرح السلبي متمثلا في " حرية مقيدة" والنظرة التفاؤلية معتبرا أنها تحظى ب" مكانة مميزة"، تلك التأويلات في غالبيتها تنحو منحى يتجه إلى التصور المحلي للمجتمع البيظاني. وهو ما سوف نتناوله في ما سيأتي.

ب. المرأة من خلال التصور المحلي:

إن قراءة التاريخ الاجتماعي للمجتمع البيظاني، يجعلنا نقف على التداول الكبير لمنزلة المرأة ومدى الرفع من شأنها، وقد وصل تقديرها إلى جعلها تفرض شروطا في عقد الزواج، يمكن أن تعتبر صعبة التحقق في المجتمعات الاسلامية: "لا سابقة

---

[20] -قبيلة الركيبات من أهم وأكبر القبائل البيظانية، مؤسسها **سيدي أحمد الركيبي**.

[21]- Caratinie Sophie, A Propos du mariage « arabe » Discours endogame et pratiques exogames : l'exemple des Rgaybat du nord ouest saharien. In: *L'Homme*, 1989, tome 29 n°110. pp. 30-49 p « 33 »

[22] -خوليو كارو باروخا، **دراسات صحراوية**، ترجمة أحمد صابر، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2015، ص 355.

[23] -Sophie Caratinie, *les Rgaybat (1610-1934)*, Tome 1, Edition L'Harmattan, 1989.

ولا لاحقة وإلا فأمرها بيدها أو بيد وليها"[24]. بهذا الشرط تكون قد قيدت الرجل وجعلته أمام خيارين الواحد منهما أصعب من الآخر(القبول أو الرفض) .

لعل المثل يختزل ثقافة المجتمع ويقول في هذا الصدد أحمد قنديل البقلي :" فالمثل فيما نعرف هو خلاصة تجربة من التجارب يعبر به الإنسان عن تلك التجربة وما أفاد منها وما قر في نفسه من حكم عليها"[25].فقد حظيت المرأة بنصيب مهم في الأمثال الشعبية البيظانية، حيث نجد أمثالا وحكايات متجذرة في بنية الثقافة البيظانية، والتوصيفات التي سوف نأتي على ذكرها، تصور المرأة في أشكال مختلفة:

- "كل بلية أسبابها ولية"، مثال شائع يدل المرأة في إثارة المشاكل، وعندما نبحث في ثقافة المجتمعات العربية نجدها تتقاسم هذا المثال.
- "النيت اللي سالت"، كيف البطح لسالت: يضرب في تربية الإناث وخروجهن عن الطاعة. القصور في التربية والاعوجاج الأخلاقي.
- "لمراح أحرش" في إشارة إلى الفتاة التي لم تتزوج بعد، وهذا النوع من الأمثال يمكن قراءته من زاويتين، أما الأولى فتحمل دلالة احتقارية للفتاة التي لم تتزوج، والثاني يأتي في شكل دلالات محفزة لدعوتها إلى الزواج والاستقرار في بيت الزوجية. فتقاليد البيظان تعجل بزواج الفتاة، لأن في تأخر الزواج ضرر على الأسرة والقبيلة، خاصة وأن الحديث حول الزواج يرتبط بجملة من المحددات، فمن "المؤكد فعلا أن المرأة الحسانية ترى وزنها يزيد ومكانتها تعلو بزواجها في مجتمع ينظر للمرأة والزوجة نظرة تثمين واعتبار ويجعلها تعلو سلم الترتيب الاجتماعي والمعنوي على حساب الفتاة العازبة التي لا يكمن طموحها إلا في الزواج"[26]. كما أن الأمثال دعت المرأة إلى ضرورة اغتنام الفرص "لحديد يبتط الا حامي ومعناه " اضرب الحديد وهو ساخن "، ففي هذا دعوة إلى اغتنام الفرص الجيدة، والتحلي بحسن البديهة وسرعة التصرف.

---

[24]المختار ولد حامد، **حياة موريتانيا**، الجزءالثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب،تونس، الطبعة الأولى، 1990، ص182.

25 أحمد قنديل البقلي، **الأمثال الشعبية**، سلسلة كتابك، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1987، ص 8.

[26]مباركة بنلحسن،"الفتاة الحسانية وطقس الزفاف: مقاربة أنثروبولوجية"، **مجلة إضافات**، العددان 29-30،2015، ص. 92.

يأتي المثال الآتي ليؤكد ما سبق ذكره عن تأخر الزواج بالنسبة للمرأة" رد لعمايم يورث اندايم" يعني أن رفض المرأة الزواج ممن يطلبونها ينتج عنه الندم. وفي سياق آخر يعتبر التريث والنظرة العميقة للزواج من المزايا الحسنة، "شوفا لساس، أما زغب ينساس"، بمعنى أنه يجب النظر إلى النسب والأصل فهو الأهم، وللتأكيد على ضرورة تحمل الفتاة للمسؤولية والتعود على ذلك منذ الصغر نجد المثال التالي "النار ما فيها نويرة، والناثي ما فيهم صغيرة، وهي إشارات مهمة لكل أنثى صحراوية من أجل التقعيد لثقافة المسؤولية.

فقد تناولت النوازل الفقهية متمثلة في "المحضرة" (باعتبارها الرابط الروحي بين الإنسان البيظاني والحياة الدينية) المرأة بشكل مكثف، وحاولت أن تحيط بكل ما يرتبط بها، فالشيخ محمد الإمام يقول بأن" النساء عند عامة أهل القطر، كأنهن لم يخلقن إلا للتبجيل، والإكرام، والتودد لهن، فلا تكليف عليهن ولا تعنيف."[27]وبهذه الإشارات يكون الشيخ الإمام قد قدم تصورا واضحا ومتكاملا عن وضعية المرأة البيظانية، متطرقا لقواعد التعامل معها التي لا تخرج عن الود والتقدير.

ت. بين العذراء والمطلقة:

يختلف تمثل المجتمع البيظاني للمرأة المطلقة، وقد تصل مستويات الاختلاف إلى عدد أيام الاحتفالات. "فأيام البكر تدوم سبعة أيام أما الثيب فتقتصر في ثلاث"[28]. ومسألة المفاضلة بين الثيب والبكر نجدها حاضرة في النصوص الدينية ففي حديث عن جابر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((عليكم بالأبكار ، فإنهنَّ أنتق أرحامـــًا، وأعذب أفواهـــًا، وأقل خبـــًا، وأرضى باليسير))[29]. وفي هذا الحديث دعوة صريحة إلى أفضلية الزواج من البكر. إلا أن النصوص الدينية لم تخلو من تكريم المطلقة ففي آية من سورة التحريم نجد التأكيد على تقديم الثيبات على الأبكار قال تعالى(عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً)[30].

ولا يختلف التصور المحلي للمجتمع البيظاني عن النصوص الدينية، فالثقافة البيظانية تجمع بين الدعوة إلى الزواج من البكر، وذلك خلال أعراف قبلية دأبت على تصوير البكر بأفضل التوصيفات. ومن جانب آخر يذهب المجتمع إلى تمثل المطلقة

---

[27] المختار ولد حامد، مرجع سابق، ص 179.

[28] محمد دحمان، مرجع سابق، ص 150.

[29] محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادة**، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988، ص 749.

[30] سورة التحريم، الآية 5

في مكانة مميزة "فالمرأة المطلقة أو الأرملة مثلا لا تشعر بالدونية ولا تشكو من أي نقص حيث تمارس جميع وظائفها وأدوارها في الحياة اليومية بشكل عادي وطبيعي"[31].

كما أننا نجد النوازل الفقهية تتناول هي الأخرى هذه الثنائية (البكر والثيب) وأيضا الزواج بالكفئ، يطرح الشيخ محمد يحضيه بن عبد الباقي موضوع الزواج بالكفئ ويتحدث فيه عن البكر والثيب في شكل من المساواة حيث يقول" يجب على الولي أن يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها من ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها وكان لا يكافئها في نسبها"[32] كما أنه" سئل مقيد الحروف ألهمه الله الرشد للصواب ومتابعة السنة والكتاب عن شريفة ثيب بغير كفئ"[33].

وقد سبق وأشار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي إلى مكانة المطلقة في المجتمع البيظاني فقال "كم من ثيب يأتيها الرجال يضربون أكباد الإبل من أجلها والبكر تعود بعد يوم ثيب"[34]. فالمطلقة في المجتمع البيظاني يختلف حالها عن باقي المجتمعات الاسلامية التي ظاهريا تقبل بها. لكن من خلال المعاملات يظهر الرفض الباطني للوضعية الجديدة للمرأة.

خاتمة:

لقد استوقفنا كثيرا تناول الثقافة البيظانية، وهو ما حاولنا القيام به من خلال العمل على مقاربة طقس الزواج في التاريخ الثقافي البيظاني، وقد عمدنا إلى تفكيك العناصر المميزة لهذا الطقس. بدءا بالقواعد المحددة للزواج، والذي رأينا أن نعمد فيه إلى مقاربة منطق الزواج محاولين أن نُحِبَّ اللُبس حول ما لم نكن على دراية به. على اعتبار أن طقس الزواج يمثل نظاما ثقافيا مميزا في شتى المجتمعات على اختلافاتها (من حيث الأبنية الثقافية من تقاليد، عادات...).

فالمجتمع البيظاني اعتبر الزواج طقسا مقدسا ووضعه في منزلة معتبرة، وأحاطه بقواعد صارمة تحفظ له مكانته وتميزه عن باقي المجتمعات. وقد نلامس بعض التعقيد من حيث المراسيم (الخطوبة، ادفوع، المروح، الدخلة....)، أو منطق المصاهرات

---

[31] –بار الله محمد وليو، **صورة المرأة الصحراوية في الأدب الحساني**، بار الله محمد وليو، ضمن كتاب تمثلات المرأة في المتخيل والتراث الشفهي المغربي، تنسيق، المصطفى الشادلي، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، 2008 ص،55.

[32] -الشيخ محمد يحضيه بن عبد الباقي، نازلة غير مؤرخة موضوعا "ضرورة تزويج الفتاة بالكفء".

[33] -الشيخ محمد يحضيه بن عبد الباقي، نازلة غير مؤرخة موضوعا " ظهور الوالي بعد النكاح".

[34] -محمد الأمين الشنقيطي، محاضرة مسجلة.

(تدخل القبيلة والتنافسية، والهرمية الاجتماعية)، أو حتى دلالاته الرمزية، لهذا عمدنا إلى محاولة فهم أهميته الرمزية والمادية والوقوف على مراحله بتعددها واختلافاتها المركبة.

المراجع:

1. محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادة**، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988
2. يحيى بن البراء، **الفقه والمجتمع والسلطة**، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، الطبعة الأولى، 1994.
3. محمد دحمان، **الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب**، مطبعة كوثر برانت، الرباط، الطبعة الأولى، 2006
4. محمد دحمان، **دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب بين الترحل والإقامة**، طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 2012.
5. فيليب مارشزين، **القبائل، الإثنيات والسلطة في موريتانيا**، ترجمة الدكتور محمد بن بوعليبه بن الغراب، دار النشر جسور، الطبعة الأولى، نواكشوط، 2012.
6. محيي الدين صابر ولويس كامل مليكة، **البدو والبداوة، مفاهيم ومناهج**، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1986.
7. بار الله محمد وليو، "صورة المرأة الصحراوية في الأدب الحساني"، بار الله محمد وليو، ضمن **تمثلات المرأة في المتخيل والتراث الشفاهي المغربي**، تنسيق، المصطفى الشاذلي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، 2008.
8. المختار ولد حامد، **حياة موريتانيا**، الجزء الثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الأولى 1990.
9. أحمد قنديل البقلي، **الأمثال الشعبية**، سلسلة كتابك، دار المعارف، الطبعة الأولى،1987.
10. خوليو كارو باروخا، **دراسات صحراوية**، ترجمة أحمد صابر، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، الطبعة الأولى، 2015.

11.ليليا بن سالم، ليليا، "التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم"، ضمن، **الأنثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي**، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 2007. (ص: 11-42).

12.رحال بوبريك، **زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي**، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى، 2012.

13.بيير بونت، **إمارة آدرار الموريتانية**، ترجمة محمد بن بوعليبه، نواكشوط، دار النشر جسور، الطبعة الأولى، 2012.

14.أحمد الأمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مكتبة الوحدة العربية، ودار الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1958.

15.الفصل شلق، **القبيلة والدولة والمجتمع**، مجلة الاجتهاد، عدد 17، خريف 1992.

16.الربيعو علي تركي، "نحو تأسيس إناسة لدراسة المجتمع البدوي"، **مجلة الاجتهاد**، العدد 17، السنة الرابعة، خريف 1992.

17.مباركة بنلحسن، الفتاة الحسانية وطقس الزفاف: مقاربة أنثروبولوجية، **مجلة إضافات**، العددان 29-30، 2015.

المراجع الأجنبية:

1. Odette du Puigaudeau, *Art et coutume des Maures*, l'agence du sud.
2. E.E .Evans Pritchard et Meyer forte, "*African Political System*", Londres, 1940.
3. Evans Pritchard, "*The nuer, a Description of the Modes of Livelihood and Political institutions of Nilotic People*", ClarendenPress, Oxford, 1940 .
4. Sophie Caratinie," A Propos du mariage « arabe » Discours endogame et pratiques exogames : l'exemple des Rgaybat du nordouest saharien". In: *L'Homme*, 1989, tome 29 n°110. pp. 30-49

5. Sophie Caratinie, "*les Rgaybat (1610-1934)",* Tome 1, Edition L'Harmattan, 1989.
6. Martine Segalen , "*Rites et Rituels Contemporains*" , Éditions Nathan, Paris, 1998.